سورة العصر: فلسفة بناء الفرد والمجتمع

سليمان بن علي بن عامر الشعيلي
sulayman@squ.edu.om
جامعة السلطان قابوس

الإنسان مخلوق شديد التعقيد أودع الله فيه من ألطافه وأسراره مالا يمكن للإنسان نفسه أن يعلمه. وأناط به دورا مهما وكلفه بأعظم وظيفة وهي الخلافة في الأرض. ثم إنه لم يتركه وشأنه إذ القيام بأعباء الخلافة ليس بالأمر اليسير، بل أعانه بالتوجيه والتسديد، وعلمه ما يحتاج إليه من غوامض الكون وأسرار الخليقة. أما عملية بناء الإنسان روحيا وفكريا فهي أمر يحتاج إلى منظومة تربوية تراعى ذلك التعقيد. وتشكل سور القرآن الكريم عناصر هذه المنظومة، وقد جمعت سورة العصر، التي هي موضوع البحث - على إيجازها- أهم عوامل بناء الفرد والمجتمع. عرض البحث في مقدمته تعريفا للإنسان وتفرده عن سائر المخلوقات، ثم تحدث عن أهمية الزمن وأثره في بناء الفرد والمجتمع. ركز البحث بعد ذلك على الفلسفة التربوية لسورة العصر من حيث أثر الإيمان والعمل الصالح في بناء الفرد، وأثر التواصي بالحق والتواصي بالصبر في بناء مجتمع قوي وحفظه من المؤثرات السلبية. ثم ختم البحث بالتوصيات التي يمكن الإفادة منها.

Surat Al-Asr: The Philosophy of building the individual & society

Sulaiman Bin Ali Bin Amer Al Shuaili
Sultan Qaboos University

The human being is a complicated creature in the universe. Allah has given him tremendous abilities to play his role as "khalifa" on the earth. In order to be able to play this role, Allah provided him with a special educational approach which is explained in the Quran. Surat Alasr is a manifestation of this approach which contains important elements for building people & society.

This study gives a brief introduction about the human being & the importance of time in our life. It also emphasizes "belief & act" as essential elements for building people. The study also shows the importance of advising people to take care of themselves & their societies. Some recommendations are suggested.

مقدمــة :

كل سور القرآن عظيمة، ولكل منها موضوعها وأهدافها، وتأتي سورة العصر في مقدمة سور القرآن من حيث بناء الفرد والمجتمع، حتى لقد روي عن الشافعي أنه قال: لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس. أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن أبي مدينة وكانت له صحبة قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة والعصر ثم يسلم أحدهما على الآخر.1

تتحدث سورة العصر عن أكثر قضايا الإنسان أهمية، أولها عمره أو المدة من الحياة التي يعيشها، والتي عبرت عنها السورة بالعصر، ولا شك أن الزمن عامل مهم في نجاح الفرد بل الأمة أو خسرانهما. وإذا كان عمر الإنسان محدوداً بأنفاس معدودة، فإن نجاحه يقاس بما يمكن أن ينجزه في هذا العمر المحدود من خير لنفسه ولأمته. ومثل ذلك يقال للأمة بالنسبة لغيرها من الأمم. إن الزمن أغلى ما يملكه الإنسان، على أنه أسهل ما يمكنه التفريط فيه، دون أن يعي خطورة ذلك وأهميته. لا غرو إذن أن يكون الزمن هو العامل الأول الحاسم في قضية الربح والخسران بالنسبة للفرد والأمة على السواء.

العامل الثاني الذي يشكل الحجر الأساس في بناء الفرد ومن ثم يحدد مصير البشرية إلى أي القبيلين تكون هو الإيمان وضده. وهو أمر حسمته النصوص الواردة عن الله على ألسنة رسله "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (المائدة: 69)، " **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون**" البقرة (161-162). "**إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فإولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى**" (طه: 74-76).

وكما أن صاحب الإيمان ينعم بالسعادة في الدنيا قبل الآخرة، فإن أثر الكفر يلازم صاحبه في الدنيا كما هو في الآخرة، " فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى" (طه: 123-124).

أما تقدم الأمم وانحطاطها، وبقائها أو زوالها، فالمؤثر فيه بشكل رئيس قانون التواصي بالحق والتواصي بالصبر، إذ هو مؤشر الرقي أو الانحطاط، والصلاح والفساد، ولذا كان السمة البارزة لهذه الأمة والصفة المميزة لها عندما كانت تقود الأمم إلى الخير، ويجب ألاّ تفقد هذه السمة لأن في فقدها استعبادها وذلها وهلاكها.

مشكلة الدارسة وأهدافها :

تقوم الفلسفة التربوية في الإسلام على بناء الفرد المصلح والمجتمع الصالح، وقد جمعت سورة العصر بتركيز شديد أهم العوامل المؤثرة في بناء هذا الفرد والمجتمع، وعليه فإن البحث يسعى للكشف عن أهمية هذه العوامل في بناء الفرد وأهميتها كذلك في تكوين مجتمع مسلم راشد

---

[1] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط 215/5 برقم 5124.(تخريج الأحاديث من الموسوعة الالكترونية الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي، الاردن).

وبقائه قويا متماسكا. وفي المقابل يوضح أثر المجتمع جاء البحث في تمهيد وخمسة مباحث: اهتم التمهيد ببيان حقيقة الإنسان ثم تحدث المبحث الأول عن أهمية الزمن وأثره في بناء الفرد والمجتمع، وتناول الثاني والثالث الإيمان والعمل الصالح وأثرهما في تربية الإنسان المسلم، وتولى

غياب هذه العوامل أو بعضها على الفرد وعلى الرابع والخامس الكشف عن أثر التواصي بالحق والتواصي بالصبر في بناء المجتمعات والأمم، ثم ختم البحث بملخص فيه أهم النتائج التي توصل إليها الباحث. فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمني واستغفر الله لذلك.

تمهيد: حقيقة الإنسان:

قبل الحديث عن حقيقة الإنسان لا بد لنا من أن نعرض للمقصود من مفهوم الإنسان الوارد في السورة وحقيقة الخسران الذي قد يقع فيه ليتسنى لنا بعد ذلك الحديث عن العوامل المؤثرة فيه سلبا أو إيجابا وكيف يمكن له بالتربية الواعية، أن ينجو من خطر محقق، وخسران مبين.

يذكرغير واحد من المفسرين أن التعريف في الإنسان في الآية: (**إن الإنسان لفي خسر**) للجنس مراد به الاستغراق بقرينة الاستثناء. وهو استغراق عرفي لأنه يستغرق أفراد النوع الإنساني الموجودين في زمن نزول الآية (الألوسي،1985، ج30: 228، وابن عاشور، ج30: 466).

لكن الاستغراق في (أل)-كما يذكر الشيخ محمد عبده- ليس كالاستغراق بلفظ (كل) التي تضاف إلى النكرة ، ويريد بها العرب تعميم الحكم في جميع أفراد الجنس، وإنما يراعي في (أل)، استغراق المعهود عند المخاطبين لأنها في لسانهم للعهد، وتعريف الجنس ، إما في فرد أو أفراد، ولن تفارق العهد في حال من الأحوال. وعليه يكون المقصود بالإنسان في الآية هو من بلغ سن الرشد عاقلا يميز بين الخير والشر، ولا يشمل الصبيان والمجانين، ولو أتى بلفظ (كل) لشمل ذلك.(عبده، محمد، 1988، ص 71)، فالاستغراق في الآية على حقيقته ، وهو شامل

أفراد المكلفين من الناس ، سواء أكانوا ممن بلغتهم رسالة الأنبياء أم ممن لم تبلغهم (ابن عاشور: 2002، ص466).

أما الخسر المعرض له هذا الإنسان فقد قيل إنه الضلال والهلاك والنقص: (ابن منظور: د.ت، ص1156)، وفي التجارة ضد الربح ، واستعير هنا (في سورة العصر) لسوء العاقبة لمن يظن لنفسه عاقبة حسنة، وتلك هي العاقبة الدائمة وهي عاقبة الإنسان في آخرته من نعيم أو عذاب (ابن عاشور: 2002، ج30: ص 466).

قال الراغب في المفردات : الخسر والخسران: انتقاص رأس المال، وينسب ذلك إلى الإنسان، فيقال: خسر فلان، وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارته، قال تعالى "**تلك إذا كرة خاسرة**" (النازعات:11)، ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر، وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة ، والعقل والإيمان، والثواب، وهو الذي جعله الله الخسران المبين، وقال "**الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين**" الزمر:15، وقوله "**ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون**" (البقرة:121)، وقوله "**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه** " إلى قوله "**أولئك هم الخاسرون**" (المائدة:30)، ... وكل خسران ذكره الله تعالى في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران

المتعلق بالمقتنيات الدنيوية والتجارب البشرية (الأصفهاني، 1992، ص281).

وتبالغ الآية في ربط الإنسان بالخسر بحروف التوكيد (إن)، و (اللام)، و (في الظرفية)، التي تفيد-كما عبر الإمام الرازي- أنه كالمغمور في الخسران، وأنه أحاط به من كل جانب (الرازي: 1990، ج32، ص 82).

كل ذلك يؤكد أن المراد بالخسر في الآية خسران الآخرة، وأيضا فإن استثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أن يكونوا في خسر يدل على أن سبب كون بقية الإنسان في خسر هو عدم الإيمان والعمل الصالح بدلالة مفهوم الصفة. علم من الموصول أن الإيمان والعمل الصالح هما سبب انتفاء إحاطة الخسر بالإنسان.

وأيضا فإن المراد بهذا الخبر الحصول في المستقبل بقرينة مقام الإنذار والوعيد، أي لفي خسر في الحياة الأبدية الآخرة ، فلا التفات إلى أحوال الناس في الحياة الدنيا، قال تعالى **"لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد"** (آل عمران: 6-197) (ابن عاشور، 2002، ج 30، ص 268).

هذا، وقد أشار الإمام الزمخشري إلى معنى جميل في الآية مؤداه: أن الناس في أعمالهم لدنياهم وآخرتهم كالتجار فمنهم الرابح ومنهم الخاسر، والصالحون وحدهم الرابحون لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا، ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة (الزمحشري، 1977، ج6، ص 253) .

بقيت الإشارة إلى الذين لم تبلغهم الدعوة؛ هل هم داخلون في الآية أم لا؟. ولعل الاختلاف في ذلك مرده إلى المعنى المقصود من الخسر في الآية، هل هو النقص الذي يصاب به الناس في دنياهم في الأموال والأنفس والثمرات؟، وعليه يكون الخسران شاملا لمن بلغته الدعوة ولمن لم تبلغه. أو هو خسران الآخرة، وتكون الآية فيمن بلغتهم الدعوة فقط -كما هو رأي ابن عاشور- إذ أن الله لا يكلف إلا بعد قيام الحجة (ابن عاشور، 2002، ج30، ص466).

وإذا كنا بصدد الحديث عن الإنسان وتلك العوامل المؤثرة في بناء شخصيته، يجدر بنا النظر أولا إلى تكوينه الجسدي والروحي، إذ لهذا التكوين الأثر الأكبر في هدايته وضلاله.

إذا نظرنا إلى هذا الكائن الحي الذي يطلق عليه لفظ الإنسان، فإننا نجد أن هذا اللفظ (الإنسان) لا تعني هذا الجسم فقط المكون من أعضاء وأجهزة لها وظائف، وليس هو كذلك مجموعة من الأحاسيس والمشاعر والانفعالات، وليس روحا فقط. هو تركيبة معقدة من أشياء وضدها، من عقل وروح، ومن جسد مسكون بالرغبات والشهوات، وبالمشاعر والانفعالات. الإنسان- كما عبر عنه الدكتور الكسيس كارل-، لا يزيد أن يكون رسما بيانيا، يتكون من رسوم بيانية أخرى أنشأتها فنون كل علم. وهو – في الوقت نفسه- "الجثة" التي شرحها البيولوجيون (علماء الحياة)، و" الشعور" الذي لاحظه علماء النفس، وكبار معلمي الحياة الروحية، و "الشخصية" التي أظهر التأمل الباطني لكل إنسان أنها كامنة في أعماق ذاته..إنه -أي الإنسان- عبارة عن المواد الكيمائية التي تؤلف الأنسجة وأخلاط أجسامنا.. إنه تلك الجمهرة المدهشة من "الخلايا والعصارات المغذية" التي درس الفسيولوجيون (علماء وظائف الأعضاء) قوانينها العضوية.. إنه ذلك " المركب من الأنسجة والشعور" الذي يحاول علماء الصحة

والمعلمون أن يقودوه إلى الدرجات العليا أثناء نموه مع الزمن.. إنه ذلك "الكائن الحي العالمي" الذي يجب أن يستهلك بلا انقطاع السلع التي تشجعها المصانع، حتى يمكن إن تظل الآلات – التي جعل لها عبدا– دائرة بلا توقف.. ولكنه قد يكون أيضا شاعرا، أو بطلا أو قديسا.. إنه ذلك المخلوق شديد التعقيد الذي تحلله فنوننا العلمية. ولكنه أيضا تلك " الميول والتكهنات وكل ما تنشده الإنسانية من طموح.

والإنسان من بين جميع المخلوقات كائن متفرد بطبيعته وتركيبه، وفي وظيفته وغاية وجوده، وفي مآله ومصيره. وهو أمر تقتضيه الحكمة ، والقيام بأعباء الخلافة في الأرض، وبه تتجلى عظمة الخالق وبديع صنعه. إذ التماثل يعنى المحدودية، فالنسخة المكرورة تؤدي الوظيفة نفسها التي تؤديها نسختها المماثلة، وهذا أمر يرفضه عظمة الكون وتنوع مجالاته واختلاف الوظائف المنوطة بالإنسان فيه وتعدد أدوارها.

وتؤكد نصوص القرآن الكريم أن الإنسان خلق خلقة مخصوصة ، لأجل أن يقوم بوظيفة معينة، هي الغاية من وجوده. ومن ثم فقد ابتلاه الله في حياته بالخير والشر وهو محاسب في النهاية على تصرفاته وأعماله وسلوكه، وعلى هذا يتقرر مصيره في الآخرة.

هذه الحقائق الأساسية الثلاث: حقيقة أن الإنسان كائن فذ في هذا الكون، وحقيقة أن الإنسان كائن معقد شديد التعقيد، وحقيقة أن الإنسان يشتمل على عوالم متفردة عددها عدد أفراده.

هذه الحقائق تقتضي منهجا للحياة الإنسانية يرعى تلك الاعتبارات كلها، ويرعى تفرد الإنسان في طبيعة تركيبه، وتفرده في وظيفة وغاية وجوده، وتفرده في مآله ومصيره، كما يرعى تعقده الشديد وتنوع أوجه نشاطه وتعقد الارتباطات بينها. ثم يرعى فرديته هذه مع حياته الجماعية.

وبعد هذا كله يضمن له أن يزاول وجوه نشاطه كلها ، وفق طاقاته كلها. بحيث لا يسحق ولا يكبت، كما لا يسرف ولا يفرط، وبحيث لا يدع طاقة تطغى على طاقة، ولا وظيفة تطغى على وظيفة.. ثم في النهاية– يسمح لكل فرد بمزاولة فرديته الأصلية مع كونه عضوا في جماعة (قطب/أ، 1983، ص 52–53).

لنا أن نقرر بعد هذا أن التربية على المنهج الذي رسمت سورة العصر خطوطه العامة، أمر تفرضه طبيعة الإنسان وحاجاته الفطرية، وهو السبيل الأمثل ليتخطى الإنسان عقبات الحياة التي وجدت تمحيصا لإرادته . ولينجو من تلك الأفخاخ التي نصبها الشيطان لفتنته وغوايته. إن النجاة والخسر، بعد مشيئة الله، مرهونان بنجاح هذه التربية أو فشلها، وعليه لا بد لنا أن نتبين معالم هذا المنهج كما حددته السورة الكريمة.

المبحث الأول: الزمن وأثره في بناء الفرد والمجتمع

الوقت قيمة مهمة وأساسية من قيم الحضارة، نبه عليه الدين وحث على الانتفاع به، والمحافظة عليه، واستغلاله في القيام بأعباء الخلافة، وأداء الأمانة التي خلق لها الإنسان في الأرض. ولأهمية الوقت البالغة، أقسم الله تعالى به في عدد من آيات كتابه الكريم، فقد أقسم الله بالليل والنهار والفجر والشفق والصبح والضحى والعصر، وكلها تمثل أجزاء الوقت، وسميت سورة باسمه (سورة الدهر)، التي هي سورة الإنسان، وسورة العصر؛ وهي من أهم السور في القرآن التي حددت بدقة واختصار عوامل الخروج من الخسر المحقق.

في هذه السورة التي جاء (العصر) علما عليها، اختلف المفسرون في معناه على أقوال أهمها (الألوسي: 1985، ج30، ص 228، وابن عاشور، 2002، ج30، ص 265-266، والقاسمي، 1978، ج10، ص 245):

الأول : أنه علم بالغلبة لوقت ما بين آخر وقت الظهر وبين اصفرار الشمس، فمبدؤه إذا صار ظل الجسم مثله بعد القدر الذي كان عليه عند زوال الشمس ويمتد إلى أن يصير ظل الجسم مثلي قدره بعد الظل الذي كان له عند زوال الشمس. وقد أقسم الله بالعصر كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة، تشبيها بوقت العصر في انقضاء الدنيا ودنو القيامة دون أن يستعد الإنسان لها، كما أن وقت العصر علامة انقضاء اليوم وانتهاء التجارة والكسب فيها.

الثاني: يطلق العصر أيضا على مدة معلومة لوجود جيل من الناس، أو ملك أو نبي أو دين ويُعيّن بالإضافة فيقال عصر الجاهلية ، عصر إبراهيم، ويجوز على هذا أن يكون المراد به عصر النبي صلى الله عليه وسلم، أو عصر الإسلام كله إذ هو خاتمة عصور الأديان.

الثالث: المراد صلاة العصر، أقسم الله بها لفضلها بدليل قوله: "والصلاة الوسطى" (البقرة: 238). صلاة العصر في مصحف حفصة، وقوله عليه السلام "من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله"2، ولأن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار، واشتغالهم بمعايشهم (الزمخشري، 1977، ج6، ص 252) .

الرابع: الدهر، إذ هو حياة الإنسان، وميدان العمل الذي به ينجو الإنسان أو يخسر.

وبه قال ابن عباس والحسن، وإليه مال أكثر المفسرين (الطبري، 1992، ج12، ص684 ، وابن كثير، 1990، ج4، ص550 ، وابن عطية، 1981، ج16، ص361، وأبو حيان، 1993، ج8، ص507، والقرطبي، 1985، ج20، ص178) ، واختاره الإمام الطبري، قال: والصواب من القول في ذلك ، أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر، والعصر اسم للدهر، وهو العشي والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله معنى دون معنى، فكل ما لزمه هذا الاسم فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه (الطبري، 1992، ج12، ص684).

ويبدو أن هذا المعنى، أي التفسير بالدهر، أكثر المعاني ارتباطا بموضوع السورة، لأنه محل أفعال العباد وأعمالهم، والتي بها تكون نجاتهم أو هلاكهم. قال الرازي: "أقسم الله تعالى بالعصر ، أي الدهر، لما فيه من الأعاجيب، لأنه يحصل فيه السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر.. فلو ضيعت ألف سنة، ثم تبت في اللمحة الأخيرة من العمر بقيت في الجنة أبد الآباد، فعلمت حينئذ أن أشرف الأشياء حياتك في تلك اللمحة، فكان الدهر والزمان من جملة أصول النعم، فلذلك أقسم الله به ونبه على أن الليل والنهار فرصة لا ينبغي للمكلف أن يضيعها سدى، وإليه أشار بقوله تعالى: **"وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا"** (الفرقان: 62). وأن الزمان أشرف من المكان فأقسم به، لكون الزمان نعمة خالصة لا عيب فيها،

2 أخرجه البخاري في الصحيح 203/1 برقم 527، ومسلم في صحيحه 436/1 برقم 262 باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، والترمذي في السنن 330/1 برقم 175، والنسائي في المجتبي، 237/1 برقم 478، وابن ماجه في السنن 224/1، ومالك في الموطأ 11/1 برقم 21.

إنما الخاسر المعيب هو الإنسان" (الرازي، 1990، ج32، ص80-81).

أما القول بأن المراد به صلاة العصر، فمرجوح لأن السورة مكية، وقد عدت الثانية عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد الانشراح وقبل العاديات (الزركشي، 1990، ص280، وابن عاشور، 2002، ج30، ص 463) ، ومعروف أن سورة الانشراح نزلت في الفترة الأولى من الدعوة بعد الضحى مباشرة، على أن الصلوات فرضت قبل الهجرة بسنتين، كما في رواية أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم فرضت عليه الصلوات الخمس قبل هجرته بسنتين (السالمي، د.ت، ص270). إلا إن كانت هناك صلاة، يقصدها أصحاب هذا القول، غير هذه المكتوبة فالله أعلم بذلك. أما بقية الأقوال فيمكن أن يقال إنها داخلة في المعنى العام للزمن الذي هو مناط الربح والخسران، والذي يتسق مع الأهداف العامة للسورة كما سيتضح لاحقا.

وأيا ما كان فإن لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه لينبه الإنسان إلى ما أودع فيه من أسرار حكمته، فيستعمل ذلك في عبادة الله وشكره والإفادة فيما ينفعه في حياته ومعاده. والدهر هو حياة الإنسان فإن كسبه كسب معه الحياة الآخرة، وإن خسره خسرهما معا.

إن العناية الإلهية الكريمة بالوقت في بعدها التربوي ، يقصد منها إثارة وعي الإنسان وتنبيهه إلى أهميته، وتوجيهه إلى استغلاله الاستغلال الأمثل، وأن يشغله بالعمل الصالح المفيد في كل مجالات الحياة. ولا يمكن للإنسان أن يقوم بواجب الخلافة في الأرض، ولا أن يؤدي الأمانة التي أنيط به شرف حملها دون سواه من المخلوقات، لا يمكن له أن يفعل ذلك دون وعي تام بأهمية هذا الجزء الحيوي من حياته، ثم توظيفه واستغلاله في كل ما من شأنه أن يعمر هذه الأرض، ويبني حضارتها. وفوق هذا وذاك فالإنسان مسئول عن كل جزء من وقته ماذا عمل فيه، كما ورد في الحديث الشريف، "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه".3

والعمر هو الوقت الذي يعيشه الإنسان، فإن أحسن استغلاله عاد عليه بالخير العميم، والثواب الجزيل، وإن أساء وفرط فيه فقد أضاع عمره وظلم نفسه، وكان خاسرا مغبونا، كما ورد في الحديث: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ".4

في الحديث السابق والذي قبله إشارة تربوية واضحة إلى أهمية الوقت باعتباره نعمة مسئول عنها ، يجب شكرها بالاستغلال الأمثل فيما يعود بالخير على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، والغفلة عنها تضييع لها يؤدي إلى الغبن والخسر، ذلك أن الوقت يمثل الحجر الأساس في توجيه مسار الحياة؛ فهو إما أن يستغل في استكشاف مكنونات الكون، والأخذ بأسباب التمكين في الأرض وتسخيرها في عبادة الله، والقيام بواجب الخلافة ، وهي الوظيفة التي خلق لأجلها الإنسان، وإما أن يهدر ولا يعمر وفي ذلك إضاعة للأمانة وظلم للنفس وللإنسانية.

[3] أخرجه الترمذي في السنن، كتاب صفة يوم القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، 612/1، برقم 2416، والدارمي في سننه 144/1 برقم 537، 539، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ، 178/9، برقم 5271، 428/13، برقم 7434، والطبراني في المعجم الصغير 49/2، برقم 760، وفي المعجم الكبير، 102/11 برقم 11177.

[4] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ، 2357/5 ، برقم 6049 ، والترمذي في السنن، كتاب الزهد، باب الصحة والفراغ مغبون فيهما ، 550/4، برقم 2304

المبحث الثاني: الإيمان وأثره التربوي على الفرد والمجتمع

ابتدأت السورة بتعظيم شأن الزمن الذي هو عمر الإنسان، ويشترك في هذا المؤمن وغيره إذ الزمن عامل حاسم في صنع الحضارات ونشأة الأمم وتقدمها، ونجاح الأفراد أو فشلهم. لكن الزمن وحده لا يكفي دون أن تكون هناك عقيدة يبني عليها الإنسان حركته، ومبدأ منه ينطلق في صراعه مع الحياة، حتى لو أخفق مرة أو نكب أخرى –والحياة مليئة بذلك– لا يكون ذلك سببا مؤثرا في إحباطه، بل يعتقد بوجود قوة قاهرة جبارة، من بيده الخير والشر والنفع والضر، وهو مسبب الأسباب، ذلك هو الإيمان الصادق الذي يجعل الإنسان يرى في الإخفاق–بعد الأخذ بالأسباب– من الخير ما يراه في النجاح، ويحتسب عناءه عند الله الذي لا يضيع عنده أجر من أحسن عملا، فيدفعه ذلك إلى السعي من جديد، وبذل المزيد من الجهد، حتى يرى ثمرة جهده مضاعفة، ويتعلم من أسباب فشله، ليحولها في مستقبل أيامه إلى عوامل قوة ونجاح.

تقرر السورة أن الخروج من دائرة الخسر المحققة، معلق–بعد عامل الزمن– بأربعة أمور هي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، ويمكننا أن نجعلها على قسمين:

الأول : ما يلزم الفرد تحصيله لنفسه لينجو من الخسران وهو الإيمان والعمل الصالح.

والثاني: ما يلزمه لغيره وهو الدعاء إلى الدين، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يحب له ما يحب لنفسه التي عبر عنها بـ (التواصي بالحق والتواصي بالصبر) (الرازي، 1990، ج32، ص 85).

يجدر بنا إذن أن نتحدث عما يخص الفرد لنفسه أولا؛ أي الإيمان والعمل الصالح، ثم نعقبهما بالحديث عمّا يخص الغير وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر. ولعله من المناسب قبل حديثنا عن الإيمان بصفة خاصة أن نتحدث أولا عن الدين وحاجة النفس البشرية إليه.

أولا: الدين وحاجة النفس البشرية إليه

التدين حاجة فطرية، إذ أن الإنسان ضعيف بطبيعته، تمر به أحوال هي أكبر من قدرته لا بد له أن يلجأ معها إلى قوة هي أكبر من قوته. وأيضا فإن الكون بما فيه يفرز كثيرا من التساؤلات لا يملك العقل البشري أن يجيب عنها، وإذن فهو محتاج إلى من يبين له غوامضها، ويحل إشكالاتها. يقول محمد أسد (1987، ص19–20):

"إن ما نسميه "الاتجاه الديني" في الإنسان إنما هو النتاج الطبعي لأحواله العقلية والحيوية. إن الإنسان لا يستطيع أن يكشف لنفسه غوامض الحياة، ولا سر الولادة والموت، ولا سر اللانهاية والأبد، فإن تفكيره يصطدم بجدران لا تخترق. ولكن الإنسان على كل حال يستطيع أن يعمل شيئين: أولهما أنه يتحاشى كل محاولة لفهم الحياة بمجموعها. وفي هذه الحال يعتمد الإنسان على قرائن الاختبار الظاهرة وحدها، ويحصر كل استنتاج في نطاقها، وهكذا يصبح قادرا على فهم نتف متفرقة من الحياة تزداد في عددها وفي وضوحها بسرعة أو ببطء يتفقان مع ازدياد معرفة الإنسان بعالم الطبيعة. ولكن هذا الفهم على كل حال يبقى نتفا من مجموع تظل الإحاطة به

وراء طاقة العقل البشري.. هذا هو السبيل الذي تسير فيه العلوم الطبيعية. أما الإمكان الثاني–الذي يمكن أن يوجد بجانب الإمكان العلمي– فهو سبيل الدين. إنه يهدي الإنسان في أكثر الأحيان من طريق الاختبار الوجداني أو بالحدس لقبول تفسير الحياة تفسيرا شاملا مبنيا على الافتراض بأن ثمة قوة مبدعة سامية تدبر هذا العالم على أمر قد قدر ولكن الإحاطة به وراء طاقة الفهم البشري (أسد، 1987، ص19–20).

من جهة أخرى فإن الإنسان ضعيف، محدود القدرات بجانب المخلوقات حوله، وقوى أخرى خافية لا يستطيع إدراكها بحواسه، فكان الدين هو الذي يربط الإنسان بقوى الكون الظاهرة والخافية، ويثبت روحه بالثقة والطمأنينة ويلهمه الإرادة والقدرة لتسخير هذه المخلوقات التي خلقت من أجله.

والدين أيضا يوضح للإنسان مبدأه ومصيره، وغايته واتجاهه، كما يشكل نقطة ارتكاز تتجمع إليها خيوط حياته ونشاطه لئلا تتمزق شخصيته وتتبعثر، ولا يدركها القلق والحيرة والاضطراب، وكلما قويت هذه النقطة، واشتدت صلاتها بالخيوط المنبثة هنا وهنالك في حياة الفرد ونشاطه كانت شخصيته أقوى، لأنها أكثر تجمعا، وكانت خطواته أهدى لأنها أوحد طريقا.

ويؤكد عالم اللاهوت المعاصر هوستن سميث في كتابه "أديان العالم" (2005، ص 21) :

"إن الدين الأصيل هو أصفى وأجلى نافذة يمكن لطاقات الكون التي لا تنضب أن تصب من خلالها في الكيان البشري. ما الذي يمكنه أن ينافس الدين في التأثير على أعمق المراكز الخلاقة في كيان الإنسان وإلهامها؟ ... هذا الذي جعل شخصا غير متدين كجورج برنادرشو يخلص إلى نتيجة أن الدين هو القوة المحركة الحقيقة الوحيدة في العالم.

ولقد أصبح معروفا اليوم التأثير الإيجابي للتدين في مواجهة القلق والاضطراب والخوف الناشيء عن إفرازات الحياة العصرية المختلفة، ويؤكد علماء النفس والاجتماع أن الصلاة والعقيدة الدينية هما علاج ناجع لكثير من الأمراض العصبية والنفسية التي قد تسببها تلك الإفرازات. (كارينجي، 2006، ص270).

والدين المشار إليه، وإن لم يكن هو الدين الشرعي الذي يقترن الإيمان فيه بالعمل الصالح، لكنه، وهو بهذه الصورة، ذو أثر بالغ على الحياة والإنسان، كما يذكر عالم النفس الأمريكي (هنري لنك) بعد أن كفر بالدين الذي ورثه وعاش سنينا في الإلحاد، ثم عاد إلى الدين بعد أن رأى النور بعقله، وكانت قناعته تلك بعد أن أجرى العديد من التجارب والاختبارات النفسية على مرضاه وخلص إلى نتيجة مهمة هي "أن كل من يعتنق دينا أو يتردد على دار للعبادة، يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له أو لا يزاول أية عبادة" (القرضاوي/أ، 2007، ص324).

ثانيا: الإيمان وأثره في تربية الفرد

يعد الإيمان فطرة أصيلة في أعماق الإنسان "فطرة الله التي فطر الناس عليها " (الروم: 30).

"وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى" (الأعراف: 172).

إذ كل ما في الكون يدل دلالة قاطعة على وجود خالق عظيم مبدع، كما جاء في حديث الأعرابي حينما سئل كيف عرفت الله؟. فقال: " البعرة تدل على البعير ، وأثر القدم يدل على المسير، وهذه سماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج. أفلا يدل على اللطيف الخبير؟"

(الرازي، 1990، ج2، ص92، والألوسي، 1985، ج26، ص. 62).

وقبل أن نستطرد في الحديث عن الإيمان وأثره لا بد لنا من تعريف مفهوم الإيمان الذي نقصده، والذي نعتقد أنه المراد في سورة العصر.

الإيمان كما يعرفه أكثر أهل اللغة أنه التصديق (الفيروزآبادي، 1991، ص 281، ، وابن منظور، د.ت، ص 140).

وقال الكفوي : الإيمان إفعال من الأمن ضد الخوف، ثم استعمل في التصديق ، إما مجازا لغويا لاستلزامه ما هو معناه، فإنك إذا صدقت أحدا ، أمنته من التكذيب في ذلك التصديق، وإما حقيقة لغوية (الكفوي، 1996، ص 212).

والإيمان في معناه الإصطلاحي هو: " التصديق الذي يجزم به الفعل. يطمئن به القلب وتخضع له الإرادة وتعمل به الجوارح" (رضا، رشيد، د.ت ،ج8، ص 519).

قال الراغب (1992، ص 91): والإيمان يستعمل تارة اسما للشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ذلك "الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون" (المائدة: 69)،... وتارة يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وعلى ذلك "والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون" (الحديد: 19).

ولعله من المناسب أن أوضح أولا ما قررته كتب التوحيد، وكتب التفسير من معنى الإيمان الشرعي، ذلك أن الإيمان الحق ليس مجرد الاعتقاد الذي لا عمل للعقل ولا للوجدان فيه، ولا هو معرفة ذهنية بحقائق الدين، وليس هو القيام بشعائر اعتاد أن يقوم بها من نطق بكلمة التوحيد، وإنما هو التصديق المقرون بطمأنينة النفس، وخضوع القوى لحكم من آمن به. لا بد إذن من معرفة واعية بحقائق الدين وأصوله، ثم اعتقاد يقيني جازم بهذه الحقائق والأصول، يصحبه خضوع واستسلام وانقياد واع لهذا الدين يبعث على العمل بمقتضيات هذه المعرفة وهذا الاعتقاد.

وهذا المعنى طور من أطوار النفوس البشرية التي ارتقت إليه، لتخلص من سوء حال كانت عليه النفوس البشرية في طموحها للشهوات، على نحو ما عليه العجماوات.. وأي شقاء يصيب النفوس البشرية إذا خلت من الشعور بذلك الأصل العظيم أصل التمييز بين الخير والشر؟ الفرد الواحد إذا خلا قلبه من ذلك الشعور، فإنه يخبط في معاملته لمن معه على غير هدى ، فيصيبه منهم ما يصيبه من الأذى، ونصيب الأمة أعظم من نصيب الفرد بما لا حد له (عبده، محمد، 1988، ص 75).

يمكن القول إن الإيمان بهذا المعنى أمر لا تستقيم الحياة بدونه، وما يعانيه العالم المادي اليوم من تمزق وشقاء وتعاسة، ما هو إلا بسبب غياب الإيمان من النفوس، فأصبح كالذي يهوي من السماء إلى الأرض لا يدري أين ومتى مستقره. وعندما يستقر الإيمان في النفوس وتتقبله عن رضا وقناعة، فإنه يحدث انقلابا إيجابيا فاعلا في النفس والمجتمع.

إن فلسفة التربية الإيمانية تقوم على تربية الشعور بمراقبة الله الذي ينتج عنه رقابة ذاتية على النفس تجعل الإنسان منضبطا في أعماله ومعاملاته وفي سلوكه وأخلاقه، متعاليا على شهواته وحظوظ نفسه، ملتزما بكل ما شأنه أن يجلب له السعادة في الدنيا والفوز برضا الله في الآخرة.

كما يربي في النفس العزة والأنفة والاستهانة بالزخارف والمتع الدنيوية، فالله في قلبه أعظم من كل شيء، وأبقى من كل حي. عن أبي موسى قال: انتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة عن يساره، والقسيسون جلوس سماطين، وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك، فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله"[5]. هذا الموقف وغيره من المواقف المشابهة تدل على مدى ما يشعر به المؤمن من عزة، ولا يرى أعظم من الله في الوجود.

أما الإيمان بالقدر فيورث النفس الراحة والطمأنينة والسعادة والرضا. يقول الأستاذ محمد أسد: (1987، ص 20). "إن الرجل الدَّيِّن يعلم أن كل ما يصيبه أو يحدث في نفسه لا يمكن أن يكون خبط عشواء لا وعي فيه ولا حكمة منه. هو يعتقد أنه نتيجة لإرادة الله الواعية وحدها، وأنه، وهو نفسه جزء حي من هذا المنهاج العالمي".

من جهة أخرى فإن الله زود هذا الإنسان مجموعة من الصفات المتضادة التي يمكن استخدامها في الخير والشر. وقد أشار القرآن في غير ما موضع إلى طبيعة الإنسان السلبية النزاعة إلى الشر، وليس لها من مخلص إلا الإيمان. قال الله تعالى:**"ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير"** (هود: 10)، وفي سورة (المعارج 19-22) " **إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الخير منوعا وإذا مسه الشر جزوعا إلا المصلين**". على أن الإيمان يهذب هذه الغرائز ويقوي الضعف البشري أمام النزوات والمطامع والشهوات، وينهنه من غلواء دوافع الشر والفساد، ويحول تلك الطاقات المذخورة إلى عوامل بناء وإصلاح بدل أن تكون عوامل فساد وطغيان ودمار.

إن الإيمان بالله يضبط سلوك الإنسان وانفعالاته، وحركاته وسكناته، فيكون في أحسن حالاته حينما يرتفع مستوى هذا الإيمان إلى درجة الضبط والمراقبة والحركة الإيجابية الفاعلة. وعلى العكس من ذلك حينما يهبط الإيمان إلى مستوياته الدنيا، ينقلب الإنسان وحشا طاغيا، وشرا مستطيرا على نفسه وعلى أخيه الإنسان.

وكما أن الإيمان يحقق الاتساق بين الإنسان نفسه؛ جسده وروحه، فهو يحقق الشيء ذاته بين الإنسان ومجتمعه، وبينه وبين الكون من حوله، كما يوثق الصلة وعرى المحبة بين الإنسان وبين خالق هذا الكون. وعلى هذا التوافق والاتساق يقوم نظام الكون في جميع أشكاله وصوره، وبدون هذا التكامل الشامل الواضح، فثمة خلل يدفع الإنسان قيمته من سعادته وراحته وصحته.

"إن الإيمان وحده الذي يمنح الإنسان الطمأنينة وسكينة النفس التي هي روح السعادة، وسعادة الروح: **"الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب"** (الرعد: 28). قد يستطيع الإنسان بواسطة المال والثراء أن يوفر لنفسه كثيرا من اللذائذ ، وأن يعب من الشهوات ما يمكن أن يشترى بالدرهم والدينار، ولكن السعادة الحقيقية لا تعرض في الأسواق ، ولا تشترى بالنقود، ولا بالنفوذ، لأنها تنبع من أعماق النفس، وليست سلعة نستوردها من هنا أو هناك. قد

[5] أخرجه الحاكم في المستدرك، 338/2، برقم 3208، وقال صحيح، وأبو داؤد في سننه، 212/3 – برقم 3205، والطبراني في الكبير، 110/2، برقم 1478، وابن الضحاك في الآحاد والمثاني، 278/1، برقم 366، وعبد بن حميد، 1/ 193، برقم 550

يهيئ العلم للإنسان رفاهية الجسم، لكنه لا يهيئ له طمأنينة القلب، منحه الوسائل ، ولم يمنحه غاية يعيش لها ، لأن هذه ليست مهمة العلم ، بل هي مهمة الإيمان. كتب أحد القضاة في بريطانيا تعليقا على الحكم في إحدى القضايا الكبيرة المثيرة: "بدون قانون لا يستقر مجتمع ، وبدون أخلاق لا يسود قانون ، وبدون إيمان لا تسود أخلاق (القرضاوي/ب، 1995، ص 163-164).

وكما كان الإيمان مصدر سعادة للفرد، فهو كذلك بالنسبة للأسرة والمجتمع، كما ورد في الحديث، "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".6 وعندما يصل الإيمان في الأفراد إلى هذا المستوى من المحبة والتآلف، تختفي الأخلاق السيئة والسلوكيات الضارة من المجتمع، ويصبح مجتمعا نظيفا قويا منتجا، كالبنيان يشد بعضه بعضا، أو كالجسد الواحد تتأثر الأعضاء جميعها بما يتأثربه عضو واحد، كما ورد في الحديث الشريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى".7

وقد شبه "فيليب ريف" Phlip Rief، العالم البارز والقيادي في علم نفس "فرويد"، الإيمان بالصمغ الذي يمسك المجتمعات بعضها إلى بعض، مضيفا أن إضعاف هذا الصمغ في القرن العشرين غير سؤال "دوستويفسكي" من "هل يمكن للإنسان المتحضر أن يؤمن؟" إلى "هل يمكن لغير المؤمنين أن يكونوا متحضرين؟". والقول المأثور الأكثر شهرة لـــ "أندريه ميرو" هو"أن القرن الواحد والعشرين سيكون دينيا أو لن يكون على الإطلاق" (سميث، 2005، ص 202).

ثم إن تقدم الأمة وارتفاع مستواها الحضاري والمعيشي مرهونان بقوة المجتمع وصلاحه، وعلى العكس من ذلك يكون انحطاط الأمم وتخلفها رهن بضعف أفرادها ومجتمعاتها. وليس كالإيمان الحق قوة تدفع بالأمة نحو العلم والتقدم والحضارة، والتاريخ يشهد على ما وصلت إليه أمتنا من حضارة ورقي وتدمن في عصور الإسلام الأولى، حتى فقدت تلك القوة الدافعة فقعدت مع الخالفين.

لا شك أن مثل هذا الإيمان سيحقق الأهداف التي من أجلها فرضه الله على عباده؛ سواء كانت فيما بين الإنسان وربه، أو بين الإنسان ونفسه، أو بين الإنسان ومجتمعه وأمته والكون بأسره، والتي تتمثل فيما يلي:

أولا: في وصل ما بين الإنسان وربه وأشعاره بقربه وحبه، وملء ما بين جنبيه ثقة به، واعتمادا عليه، واطمئنانا إليه، وأنسا به، ويقينا بكل ما جاء من عنده.

وتتمثل ثانيا: في الارتفاع بقيمة الإنسان من مجرد "حيوان متطور" كما تصوره أو صوره بعض الناس، إلى كائن مكرم مكلف مسئول، مخلوق في أحسن تقويم، مستخلف في الأرض، مغبوط من الملأ الأعلى.

وتتمثل ثالثا: في توسيع صلته بالكون العريض من حوله، فهو ليس كائنا طفيليا في هذا الوجود الكبير، ولا هو -أي الكون- بالعدو الذي يصارعه، أو المجهول الذي يطارده، بل هذا

---

[6] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، 6- باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج1/ص14، رقم الحديث 13

[7] اخرجه البخاري، باب رحمة الناس والبهائم، ج5، ص 2238، رقم 5665، وأخرجه الإمام مسلم، 1999/4، (45) كتاب البر والصلة، (17) باب تراحم المؤمنين وتعاضدهم

الكون كله مسخر لمنفعته، وهو كذلك آية تدل على ربه.

وتتمثل رابعا: في مد عمر هذا الوجود إلى ما بعد هذه الحياة القصيرة الأمد، أي إلى حياة الخلود والأبد، فليست قصة البشرية مجرد أرحام تدفع وأرض تبلع، أو كما قال القرآن على لسان الجاحدين: **"إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين"** المؤمنون 37، بل الأمر كما قال عمر بن عبد العزيز: "إنكم خلقتم للأبد، وإنما تنقلون من دار إلى دار" وهذه المعاني كلها إنما ينشئها ويحييها تنبيه الإنسان إلى سر وجوده، وحقيقة إنسانيته، والوعي برسالته في الحياة،وكلها من ثمرات الإيمان؛ الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالخلود في الآخرة، وهما ركنان أساسيان في كل دين. (القرضاوي/ب، 1995، ص 160-161)

المبحث الثالث: العمل الصالح وعلاقته بالإيمان

العمل الصالح هو الترجمة العملية والتطبيق الكامل للعلاقات التي حددتها فلسفة التربية الإسلامية بين إنسان التربية الإسلامية من ناحية، وبين كل من الخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة من ناحية أخرى.(الكيلاني، 2000، ص 13).

وقد سبقت الإشارة في تعريف الإيمان أن كل معرفة بحقائق الدين مهما كانت، وكل اعتقاد بهذه الحقائق ما لم يجد حرارة تبعثه للعمل بمقتضيات هذه الأصول لا يسمى إيمانا على الحقيقة. ومع ذلك اختلفت مذاهب المسلمين في مكانة العمل من الإيمان على أقوال أهمها:

الأول: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط.

وهو قول أبي منصور الماتريدي، ومروي عن أبي حنيفة، وهو المشهور من مذهب أبي الحسن الأشعري، ونص عليه الباقلاني، وهو قول الأستاذ الاسفرائيني، ونسبه التفتازاني إلى الجمهور ورجحه الباجوري.

الثاني: الإيمان هو التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان، دون غيرهما من الجوارح.

وهذا القول محكي عن أبي حنيفة وكثير من أصحابه، ومروي عن حماد بن أبي سليمان

وعلى هذين القولين يكون العمل غير داخل في مسمي الإيمان بل هو من مكملاته.

الثالث : الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان، والعمل بالأركان. وهو قول جمهور السلف، وحكى الشافعي إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم، وحكاه الفضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة، قال الأوزاعي: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل (الدوري، 2002، ص 12).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي :إن الإيمان فرائض وشرائع وحدود وسنن، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان.8

ونقله أبو القاسم اللالكائي عن الشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم من الأئمة، وروى بسنده الصحيح عن البخاري قال" لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل..." (العسقلاني، د.ت،61).

قال النووي في شرح مسلم: وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال فمتفق عليه عند أهل الحق، ودلائله في الكتاب والسنة أكثر من أن

[8] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان (1)، باب وقول النبي بني الإسلام على خمس، ج1/ص11.

تحصر، وأشهر من أن تشهر" (النووي، د.ت، ص 149).

وحكى ابن عبد البر إجماع أهل الفقه والحديث عليه (السفاريني، 1991، ص 420).

قبل مناقشة هذه الآراء لا بد لنا أن نقرر أولا بعض المفاهيم المتعلقة بالعمل وصلتها بالاعتقاد الجازم.

من المعلوم أن الفعل حتى يقع لا بد له من عاملين هما القدرة والإرادة، واشترطوا لهذه الإرادة –حتى يقع الفعل معها– أن تكون جازمة، ومتى وجدت القدرة ولم يقع الفعل فالإرادة ليست جازمة (سعيد، 1993، ص 21).

وقد علق الله الثواب والعقاب على الإرادة لا على القدرة، ففي سورة الإسراء(18-19) يقول الله تعالى: **"من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا"**. وفي (الشورى: 20) قال تعالي: **"من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب"**.

وقد ذم الله قوما توفرت لديهم القدرة الكافية ولم تتوفر فيهم الإرادة، فهددهم على تقاعسهم عن العمل فقال عن المنافقين: **"ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين"**. (التوبة: 46). بينما عذر أولئك الذين كانت إرادتهم صادقة جازمة لكن لم تتوفر لديهم القدرة، ففي السورة نفسها قال عن ضعفاء المسلمين **"ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم. ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون"** (التوبة: 91-93). فأنت ترى أن دموع الفريق الأول وحزنهم على عجزهم عن المشاركة في الجهاد، دليل على صدقهم وحسن نيتهم، بينما الفريق الآخر ليس لهم من العذر إلا أنهم لا يريدون العمل لله ولا لدينه. بل إن الله أسقط الفرائض عن عدم القادر إذا كان مريدا لها وليس لديه من القدرة ما يمكنه من أدائها، فالحج لا يجب إلا على القادر **"ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا"** البقرة: والصوم يسقط عن عدم القادر عليه بسبب كبر السن أو مرض لا يرجى شفاؤه، وهكذا بقية الفرائض، كل هذا بشرط توفر الإرادة الصادقة.

هذه الإرادة هي وظيفة العقل الذي يميز الإنسان عن سائر الحيوان، وتكون في أعلى مستوياتها حينما تكون إرادة الله والدار الآخرة، حينها يمكن التضحية في سبيلها بالنفس والمال. وقد تنحدر الإرادة إلى إرادة شهوات وملذات الحياة وعندها يختفي دور العقل، ويتساوى الإنسان والحيوان الأعجم، إذ لا فرق بينهما في الإرادة **"والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم"** (محمد: 12).

ولا شك أن الذي أوصلهم إلى هذه النتيجة هو تعطيل دور العقل الذي جعله الله نقطة الارتكاز في التكليف، وإلا فإن الله قد خلق لهم من الآلات ما يميزهم عن الحيوان لكنهم لم يستعملوها فيما خلقت لأجله، ففقدت دورها، **"ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا**

يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون" (الأعراف: 179).

نعود بعد ذلك إلى العمل الصالح الذي هو ثمرة الإرادة التي هي وظيفة العقل. لو تأملنا القرآن الكريم لوجدنا أنه لا يذكر الإيمان بمعناه الاعتقادي إلا مقرونا بالعمل الصالح إما تصريحا وإما تلميحا، وأن ثواب الله في الآخرة لا يكون إلا لأولئك الذين يجمعون بين الاعتقاد الصادق والعمل الصالح. وهذه القاعدة قد قررتها جميع الرسالات، وعليها تقوم فلسفة التربية الإسلامية التي تؤكدها سورة العصر. حسبنا أن ننظر مثلا ما قاله الله تعقيبا على قول سحرة فرعون، وربما كان من قول السحرة أنفسهم بعد إيمانهم بالله واتباعهم موسى عليه السلام، **"إنه من يأت ربه مجرما فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى. ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلا. جنات عدن تجري من تحتها الأنهار وذلك جزاء من تزكى"** (طه: 74-76).

والتزكي كما قال المفسرون هو التطهر من المعاصي (ابن عاشور، ج16: ص 155) ، وهي إشارة واضحة إلى أن التدنس بالمعاصي من غير تداركها بالتوبة أمر مخرج للإنسان عن دائرة هذا الوعد. وفي السورة نفسها ما يقرر هذه القاعدة أيضا، إذ قال بعد آيات **"وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى"** طه : 82، قال الزمخشري في تفسيرها: "الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح ، ونحوه قوله تعالى "**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا"** (الزمخشري، 1977، ج4: ص 41). إذ التوبة ليست كلمة تقال، إنما هي عزيمة القلب، يتحقق مدلولها بالإيمان والعمل الصالح. ويتجلى أثرها في السلوك العملي في عالم الواقع (قطب/ب، 2006، ج4، ص3264).

بعد هذا يمكننا القول أن الإيمان الشرعي عند جمهور المسلمين إنما هو ناتج اتحاد عناصر ثلاثة؛ التصديق، والقول، والعمل. وعليه يكون العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للتصديق، والحركة الذاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب. فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة ما إن تستقر في الضمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في الخارج في صورة عمل صالح. هذا هو الإيمان الإسلامي، لا يمكن أن يظل خامدا لا يتحرك، كامنا لا يتبدى في صورة حية خارج ذات المؤمن، فإن لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف أو ميت. شأنه شأن الزهرة لا تمسك أريجها. فهو ينبعث منها انبعاثا طبيعيا وإلا فهو غير موجود" (قطب/ب، 2006، ج6، ص 3967).

وإلحاحنا على تأثر الإيمان بارتكاب الكبائر دون أن تتبعه توبة صادقة، وأن ذلك مخرج من الوعد بالجنة التي أعدت للمتقين، مبني أولا على الآيات الكريمة التي تؤكد تلازم الإيمان الصادق والعمل الصالح. وأن هذا العمل مرتبط ارتباطا وثيقا بالإرادة الجازمة التي هي مناط الثواب والعقاب بناء على ما قررته الآيات السابقة. وقناعتنا بأن الإيمان الصادق المخلص، الذي هو شرط النجاة، لا يجتمع وإرادة كبائر الإثم والفواحش، لأنها إرادة فاسدة مذمومة. والمؤمن لا يمكن أن يتعمد ارتكاب ما حرمه الله دون أن يرجع إلى ربه ويتوب من فعلته، بعد أن يشعر بتأنيب النفس ووخز الضمير، كما ذكر الله من صفات عباده المؤمنين **"والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم**

يعلمون" (آل عمران: 135). أما أن يبقى سادرا في غيه، مصراًّ على ذنبه، فليس ذلك من الإيمان في شيء وإن ادعى الإيمان وزعم أنه مؤمن.

وثانيا: إن غير المبالاة بالذنب وعصيان الله، خلل في الإيمان دون شك، إذ لو كان إيمان هذا المذنب صحيحا صادقا لما أصر على ذنب يعلم أن فيه غضب الله والنار. والقول بنجاة مثل هذا من غير أن يحدث توبة صادقة، تساهل لا دليل عليه، ولا مبرر له ، بل هو مخالف لحكمة التشريع وأمانة التكليف.

قال صاحب المنار (د.ت ، ج 8، ص 212): "والتحقيق في مسألة اشتراط العمل بالشرع في صحة الإيمان، أن الإيمان الصحيح بما جاء به الرسول، وهذا إيمان الإذعان والقبول يستلزم العمل بما جاء به في الجملة دون التفصيل الشمولي، فيجوز عقلا أن يترك الإنسان المؤمن بعض الواجبات أو يرتكب بعض المحرمات لأسباب تعرض له، ولكنه يؤاخذ نفسه على ذلك، ويتوب كما قال الله تعالى: **"ثم يتوبون من قريب** **وكما قال "ولم يصروا على ما فعلوا وهو يعلمون"..** ولكنه لا يجوز عقلا ولا شرعا ألا يبالي المؤمن بالأمر والنهي بحيث يترك الفرائض ويرتكب الكبائر بغير جهالة عارضة، بلا خوف ولا حياء من الله، ولا اهتمام بالثواب والعقاب، ويصر على ذلك وهو يعلم حكم الله فيه، وليس لاستحلال ما ذكر معنى غير هذا، والمستحل لمثل هذا كافر عند أهل السنة كالمعتزلة*، وفهم الإسلام على أنه تصديق بأركان الإيمان وإقرار بأركان الإسلام، وأماني لا عمل معها، هو فهم دسه أعداء الإسلام عندما ساءهم ما يتمتع به المسلم من قوة معنوية وروحية لا تغلب، فراحوا يزينون لهم المنكر، ويهونون عليهم ارتكاب الفواحش والتفلت من الواجبات. ثم يمنونهم بالنجاة في الآخرة، وهولاء هم الذين ذكرهم الله أنهم **"اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا"** (الأعراف: 51) ".

"إن الإيمان الصحيح بكتب الله ورسله يقتضي الاتباع والعمل بما شرعه الله تعالى على ألسنة تلك الرسل، وترك العمل مع الاستطاعة دليل على أن الإيمان غير راسخ في نفس مدعيه، فكيف إذا كان العمل بضد ما شرعه الله ؟ هكذا كان يدعي الإيمان بموسى والتوراة جميع اليهود وحتى أولئك الذين يشترون الضلالة بالهدى ، ويأكلون السحت ويؤمنون بالجبت والطاغوت" (رضا، رشيد، د.ت، ج5، ص 224).

إن الفلسفة التربوية في الإسلام تقوم على إخراج الإنسان الصالح المصلح. والإيمان الشرعي الذي يكون فيه العمل في الأهمية كالتصديق، هو الذي يجعل الفرد المؤمن صالحا في نفسه مصلحا لغيره. هذا الإيمان هو الذي يعمر الدنيا كما يعمر الآخرة. وإن "أمة تعتبر العمل من الكماليات الخفيفة ، كيف يقوم لها دين؟ أو تقوم بها دنيا؟

إن الله عز وجل جعل العمل رسالة الوجود ووظيفة الأحياء، وجعل السباق في إحسانه سر الخليقة ودعامة الحساب. **"الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وهو العزيز الغفور"** (الملك:2). وأن الله أناط به الثواب والعقاب بعد الإيمان فقال عن أهل الجنة:

"وتلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون" (الأعراف: 43).

---

* يقصد المؤلف هنا أن المستحل لما حرم الله هو كافر عند أهل السنة كما هو كافر كذلك عند المعتزلة

"وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون" (الزخرف: 72).

"الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون" (النحل: 32).

ويقول عن أهل النار:**"فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون"** (التوبة: 82).

"اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم هل تجزون إلا ما كنتم تعملون" (الطور: 16).

"ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون" (التوبة: 95).

"فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون" (السجدة: 14).

نعم رويت أحاديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم– ظاهرها أن النطق بالشهادتين يكفي للنجاة من العذاب، وقد أجيب عن هذه الأحاديث، كما نقل الحافظ المنذري عن طوائف من أساطين العلم، أن مثل هذه الإطلاقات التي وردت "فيمن قال لا إله إلا الله دخل الجنة، أو حرم على النار" أو نحو ذلك، ربما كان في ابتداء الإسلام حين كانت الدعوة إلى مجرد الإقرار بالتوحيد فلما فرضت الفرائض، وحدت الحدود ، نسخ ذلك. والدلائل على ذلك متظاهرة. وإلى هذا القول ذهب الضحاك ، والزهري، وسفيان الثوري، وغيرهم.

وقالت طائفة أخرى: لا احتياج إلى ادعاء النسخ في ذلك. فإن كل ما هو من أركان الدين وفرائض الإسلام هو من لوازم الإقرار بالشهادتين وتتماته، فإذا أقر ، ثم امتنع عن شيء من الفرائض جحدا أو تهاونا –على تفصيل الخلاف فيه– حكمنا عليه بالكفر وعدم دخول الجنة" (الغزالي، محمد، 1987، ص 131-132).

إن الأثر التربوي الذي تنشئه عقيدة تلازم الإيمان بالعمل –إضافة لما سبق بيانه– من الاستقامة على الدين، والاحتياط للواجبات وعدم التفريط فيها، والبعد عن المعاصي مهما كانت صغيرة؛ إلا إن كانت بغير قصد فتلك من اللمم المعفو عنه، كما ذكر الله في كتابه "**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما"** (النساء: 31). وهذا بدوره يولد محبة الله لعبده من جهة، فيوفقه ويعينه ويلهمه الصبر والسكينة عند الابتلاء، ويرحمه ويتقبل أعماله المخلصة، وإن كانت قليله، ويضاعفها له، ويكفر عنه سيئاته ويغفر له ذنوبه. ومن جهة أخرى تزداد ثقة العبد بربه، وخضوعه له، فيتوجه إليه بكل قواه، فيعبده وحده ويستعينه، ولا يرى غيره يستحق الخضوع والتذلل، فتسمو نفسه ويراها أكبر من أن تلين أو تخضع أو تذل أو تستعبد من أجل شهوة فانية، ولذة محدودة.

وما نراه اليوم من تساهل كثير من المسلمين بالذنب وتقاعسهم عن الواجب من العمل، ليدعونا إلى الإلحاح على هذه القاعدة في صورتها التي وردت في القرآن الكريم، وأكدها صحيح السنة. ويدعونا كذلك إلى مراجعة الصورة الأخرى التي نقلت عن بعض سلفنا الكرام من جعلهم العمل مكملا للإيمان، أو أن التقصير المتعمد في الواجبات، والفعل المتعمد للمنكرات، لا يضر بأصل الإيمان، أحسب أن لذلك أثره في التملص من بعض الواجبات التي هي من أمهات هذا الدين، أو الجرأة على بعض المنهيات حرمها رب العالمين.

المبحث الرابع : التواصي بالحق وأثره في بناء المجتمع العلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان، والتي اصطلحنا على تسميتها بالإيمان، هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط ما بين

الإنسان وأخيه الإنسان. فالدين إذن يخلق نظاما اجتماعيا يستحيل فيه الفرد إلى أفراد كثيرين، وبقدر ما تقوى العلاقة الدينية، بقدر ما تقوى العلاقة الاجتماعية وتقل درجة الفراغ الاجتماعي، قلة تصبح معها صورة المجتمع بعض ما يوحي قوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبينان يشد بعضه بعضا"[9] (ابن نبي، 1986، 57).

وعليه فإن المسئولية في الإسلام فردية وجماعية، فالإنسان مسئول عن نفسه؛ عن عقله، وجسمه، و ماله، وعن حياته كلها، وهذا ما يشير إليه الحديث: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به".*

ومسئولية جماعية، أي مسئوليته نحو غيره من الناس، فالإنسان لا يعيش بمعزل عن الآخرين، بل في حاجة إلى المجتمع الإنساني، فعليه نحو مجتمعه التزامات، وله عليهم حقوق، ومن هنا لا يستطيع الإنسان أن يتحلل في أي وقت من الأوقات من هذه الالتزامات لأنها مرتبطة بوجوده الإنساني. "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته".

إن فلسفة الإسلام التربوية تقوم على بناء مجتمع قوي، يواجه الحياة بثقة واقتدار، ويمتلك زمام المبادرة في عمارة الكون، وتسخير طاقاته، ويقود غيره من المجتمعات نحو خير الدنيا والآخرة، وهي مهمة صعبة لا يستطيعها الأفراد مهما كان صلاحهم إلا أن ينتظموا في مجتمع صالح، وهذا وحده لا يكفي حتى يكون أفراد هذا المجتمع يلتزمون قاعدة التواصي بالحق والتواصي بالصبر. من أجل ذلك عطف على عمل الصالحات التواصي بالحق والتواصي بالصبر؛ وإن كان ذلك من عمل الصالحات، عطف الخاص على العام للاهتمام به ، وحتى لا يظن ظان أن العمل الصالح هو ما يختص بالفرد نفسه. فنبه أن المؤمن كما هو مطالب بالعمل على نجاة نفسه، فهو أيضا مطالب بإرشاد غيره ودعوته إلى الحق.

ولفظ (التواصي) مشعر أن النجاة من الخسران إنما تناط بحرص كل من أفراد الأمة على الحق ونزوع كل منهم إلى أن يوصي به قومه، ومن يهمه أمر الحق ليوصي صاحبه بطلبه، يهمه أن يرى الحق فيقبله، فكأنه في هذه العبارة الجزلة قد نص على تواصيهم بالحق وقبولهم الوصية به إذا وجهت إليهم (عبده، محمد، 1988، ص73).

وأول ما يشتمل عليه التواصي بالحق، الدعوة إلى الخير، إذ إن أهم صفات هذه الأمة أنها أمة داعية إلى الخير، **"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"** (آل عمران: 104).

والدعوة إلى الخير مراتب. فالمرتبة الأولى: هي دعوة هذه الأمة سائر الأمم إلى الخير، (الإسلام) ، وأن يشاركوهم فيما هم عليه من النور والهدى، والمرتبة الثانية: هي دعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير وتأمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر، ولها طريقان إحداهما: الدعوة العامة الكلية ببيان طرق

---

[9] أخرجه البخاري،باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ج1، ص82، ج2، ص 863، ج5، ص2242، رقم 467، ومسلم، ج4، ص1999.

* سبق تحريجه

الخير وتطبيق ذلك على أحوال الناس، وضرب الأمثال المؤثرة في النفوس التي يأخذ كل سامع منها بحسب حاله. والطريق الثانية: الدعوة الجزئية الخاصة، وهي ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض، وهو ما يكون بين المتعارفين من الدلالة على الخير والحث عليه عند عروضه، والنهي عن الشر والتحذير منه. وكل ذلك من التواصي بالحق والتواصي بالصبر (رضا، رشيد، د.ت ، ج4، ص 30). ويدخل في الدعوة إلى الخير نشر العلم ، وتعليم الجهال، لأن بالعلم صلاح أمر الدنيا والآخرة.

والوظيفة الثانية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ لا تصلح الدعوة إلى الخير والحث عليه دون النهي عن الشر والصد عنه، وهذه هي القاعدة التي ترتكز عليها هذه الأمة، والوظيفة التي من أجلها نشأت، كما هو صريح القرآن الكريم ، **"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"** (آل عمران: 110). لأن دفع الظلم والعدوان، وصيانة الحياة من الشر والفساد، وإقامة مجتمع صالح طاهر نقي أمر شاق ومهمة جسيمة تحتاج إلى قوة قادرة على نشر الفضيلة وتحقيق العدل في الأرض..

والوظيفة ذاتها وردت في سورة أخرى بلفظ مقارب، ففي سورة البلد يذم الله الكافر بتقصيره وعدم شكره للنعم بل غمط النعمة وكفر المنعم، ويثني في المقابل على المؤمنين الذين من صفاتهم التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة: **"فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة"** (البلد: 11-17).

وكلمة (التواصي) هنا كما هي في سورة العصر، بأن ذلك أمر أبعد من الحالة الفردية الخاصة، ودرجة أكبر منها، بل هو تعاون الجماعة المسلمة على تكاليف الإيمان، وتحمل أعباء الخلافة. يؤيده الجمع في **(الذين آمنوا)؛** يوصي بعضهم بعضا على الخير ويثبت بعضهم بعضا على الهدى، ويقوي بعضهم بعضا في الشدائد والكرب. وهذا باب واسع من أبواب الصبر ، وأمر واجب لا بديل عنه لمن أراد السعادة في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة.

والتواصي بالمرحمة: تعني التواصي بأسباب رحمة الله تعالى وما يؤدي إليها من الخيرات، ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الألوسي، 1985، ج30، ص139).

قال ابن عاشور: "وخص بالذكر من أوصاف المؤمنين تواصيهم بالصبر وتواصيهم بالمرحمة، لأن ذلك أشرف صفاتهم بعد الإيمان، فإن الصبر ملاك الأعمال الصالحة كلها لأنها لا تخلو من كبح الشهوة النفسانية وذلك من الصبر. والتواصي بالمرحمة فضيلة عظيمة، إذ لا يوصي بها إلا من يفعلها.." (ابن عاشور، 2000، ج30، ص319).

هاتان الوظيفتان؛ الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المجموعتان في (التواصي بالحق)، حرز للأمة من الضياع والهلاك، وأيضا فإن الأمة لا توجد وجودا حقيقيا إلا أن تتوافر فيها هذه السمة الأساسية، التي تعرف بها في المجتمع الإنساني. وقد ضرب النبي – صلى الله عليه وسلم– الآمر بالمعروف والساكت عن المنكر "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم

فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ منفوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا". 10

هذا وقد حذر القرآن الكريم من التهاون في هذه الوظيفة العظيمة لما لها من أثر كبير في استقامة الأمة أو هلاكها، فقد لعن الله تعالى بني إسرائيل ونعى عليهم تهاونهم في ذلك فقال **"لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داؤد وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون"** (المائدة : 79).

وأشار القرآن في آية أخرى أن النجاة كانت لأولئك الذين كانوا ينهون عن المنكر، فقال **" فأنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس "** (الأعراف: 165).

وفي الحديث عن ابن مسعود "أن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض. كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم" .10

وعليه يمكننا القول أن خيرية هذه الأمة متلازمة مع قيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير، يدل على ذلك تميزها بهذا الوصف "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر". ليس هذا فحسب بل قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله؛ ذلك أن الإيمان بالله أمر مشترك بين جميع الأمم المحقة فيكون المؤثر في حصول هذه الخيرية هو كون هذه الأمة أقوى حالا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سائر الأمم. (الرازي، 1990، ج8، ص157).

وبالجملة فإن التربية الإسلامية، كما تقوم على بناء الإنسان المصلح فهي كذلك تهدف إلى بناء مجتمع صالح يقوم على الحق والخلق والفضيلة . وتؤكد أن ذلك لا يتم ما لم يشترك أفراد المجتمع كلهم على تفعيل تلك الأنظمة والقوانين التي أنزلت إليهم عن طريق الرسل، ويتواصوا بعدم التفريط أو التساهل في أي منها. فإذا طرأ على عوائد الأمة أو نزل بها من الحوادث ما بغض إليها التناصح أو حبب إليها التساهل في فريضة التواصي، كان ذلك إنذارا بحلول الخسار، وتعرضا في الدنيا للعار والدمار ، وفي الآخرة لعذاب النار (عبده، محمد، 1988، ص78-79).

المبحث الخامس: التواصي بالصبر وأثره في بناء المجتمع

الصبر ملكة في النفس يتيسر معها احتمال ما يشق احتماله، والرضى بما يكره في سبيل الحق، وهو خلق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال الخلق، وما أوتي الناس من قبل شيء مثل ما أتوا من فقد الصبر أو ضعفه . فكل أمة ضعف فيها الصبر في نفوس أفرادها ضعف فيها كل شيء وذهبت منها كل قوة (عبده، محمد، 1988، ص73).

[10] أخرجه أبو داؤد، 32 كتا ب الملاحم، 17 باب الأمر والنهي.

الصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية، يتوقف عليه النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة. إذ إن كل عمل يقوم به الإنسان في حياته يحتاج إلى صبر، فكسب الرزق، والقيام بالواجبات المطلوبة الدينية والدنيوية، والكف عن الشهوات والمحرمات، ومعاملة الناس، والتحلي بالفضائل والبعد عن الرذائل، كل ذلك وغيره يحتاج إلى صبر عظيم، بالإضافة إلى الصبر على لأواء الحياة وشدائدها.وبالجملة فهو أساس عظيم ترجع إليه مجموعة كبيرة من الأخلاق. يقول مكي بن أبي طالب في قوت القلوب:

"اعلم إن الصبر سبب دخول الجنة، وسبب النجاة من النار، لأنه جاء في الخبر، "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات"11، فيحتاج المؤمن إلى صبر على المكاره ليدخل الجنة، وإلى صبر عن الشهوات لينجو من النار" .

وقال: "واعلم أن كثرة معاصي العباد في شيئين: قلة الصبر عما يحبون، وقلة الصبر على ما يكرهون". (القرضاوي/ج، 1991، ص17).

ولما كان التواصي بالحق وما يتبعه من دعوة إلى الخير وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر رسالة سامية في الحياة، ومهمة شاقة. هذا إلى جانب الابتلاء بصنوف الابتلاءات والمحن، من أجل التطهير والتمحيص وتمييز الخبيث من الطيب، والصادق في إيمانه من الكاذب، كانت حاجة المؤمن للصبر أكبر، يؤكد ذلك قوله تعالى في أول العنكبوت:

"ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين" (العنكبوت 31).

[11] أخرجه مسلم، 51- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ج4، ص2174، رقم 2822

وفي سورة البقرة: **"أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب"** (البقرة: 214).

وفي آل عمران **"أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين"** (آل عمران: 142).

وفي البقرة: **"ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين"** (البقرة: 155).

وقال في شأن أعداء المؤمنين: **"لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور"** (آل عمران: 186).

إذن لا بد من ابتلاء ولا بد له من صبر، ولا يمكن أن يكون للحق أثر أو أن يتحقق الهدف الذي أنزل من أجله إلا بصبر، وإن كان القائم على ذلك نبي من الأنبياء فكيف بمن دونهم. من أجل ذلك عطف التواصي بالصبر على التواصي بالحق عطف الخاص على العام، وإن كان خصوصه خصوصا من وجه، لأن الصبر تحمل مشقة إقامة الحق وما يعترض المسلم من أذى في نفسه في إقامة بعض الحق (ابن عاشور، 2000، ج30، ص468).

هذا وقد ورد الصبر في القرآن الكريم بصيغ مختلفة؛ اسما، وفعلا، ومصدرا، وارتبطت هذه الصيغ بجميع ضمائر الخطاب المفردة، والجمع، وبصيغ الفعل العادية والمبالغة، وخاطب بها الله سبحانه رسوله الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، تسع عشرة مرة، بصيغة الأمر المفرد، ولعل ما يلفت النظر أن الصبر ورد على

صيغ الفعل المختلفة الماضي والمضارع والأمر، ليدل على أن الصبر لا يرتقي مكانته العظيمة إلا مستندا إلى صاحبه، أي إلا عندما يغدو خلقا تتصف به نفس المؤمن ابتغاء وجه ربه، وفيها وفي سلوكه يتجسد هذا الخلق العظيم (ناصر، محمد، 2005، ص 133).

وما تحقق لأتباع الأنبياء في الأعصر المختلفة من السيطرة على زمام التوجيه والقيادة إلا بالصبر، **"وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا"** (السجدة: 24) **"وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا"** (الأعراف: 137).

إذن لا عجب أن يكون التواصي بالصبر أحد أهم الأسس العامة لصلاح الدنيا والآخرة إذ بدونه لا يمكن أن يكون للحق سلطان، ولا للخير مكان.

إن فلسفة الإسلام في التربية على الروح الجماعية التي أشارت إليها السورتان (البلد والعصر)، بلفظ (تواصوا) ، هي محاربة الفردية والعزلة في قسميها: عزلة الفرد عن المجتمع، وبالتالي يتوجه بعمله إلى مصلحة فردية شخصية، وتتغرس في نفسه الأنانية والأثرة وحب الذات وإن كان ذلك على حساب الآخرين. يتولد عن ذلك مشاعر الحقد والكراهية وحب الانتقام بين أفراد المجتمع الواحد، والعائلة الواحدة.

والعزلة الثانية هي عزلة الدين عن المجتمع –كما هو الحال في النصرانية مثلا– فيفقد الدين سلطانه عن المجتمع، وإن بقي في ضمير الأفراد، ليبقى في عزلة وجدانية لا يحكم الحياة ولا يصرف شئونها ولا يعالج مشكلاتها.

إن الإسلام في أساسه جاء لينشئ مجتمعا إنسانيا ويضع له قوانينه ونظمه، وليس من الممكن أن ينعزل فيه الوجدان البشري عن الحياة العملية، فهو يعيش في ضمير الفرد كما يعيش في واقع الجماعة.

ولو تأملت أركان الإسلام العامة لوجدتها كلها ترمي إلى هذا الهدف، ومحصلتها النهائية مصلحة الفرد والجماعة، فالمصلي الحق، بجانب شهوده الصلاة في جماعة، فإن صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر وذلك هو مطلب من مطالب المجتمع، والصائم بجانب شعوره بألم الجوع الممظ الذي يشعر به الجائع والفقير في مجتمعه، فصيامه يحمله على التقوى ومراقبة الله في السر والعلن ، وهو مطلب مهم من مطالب المجتمع، وقل الشيء نفسه عن الزكاة والحج ، بل إن روح الجماعة أظهر فيهما.

مجالات الصبر

سبقت الإشارة إلى أن الصبر ضرورة حياتية ، وفي سورة العصر جاء التواصي به عاما دون تعيين، ولاشك أن كثيرا من مناشط الحياة، الدينية والدنيوية هي بحاجة إلى الصبر، وعليه لا بد لنا من إشارة مختصرة عن بعض مجالات الصبر كما يلي:

الصبر على البلاء: تقرر أن سنة الله اقتضت أن يبتلي من شاء من خلقه بما يشاء من صنوف البلاء، لا ينجو من ذلك كافر ولا مؤمن. فكل البشر أيا كان دينهم وحالهم معرضون لأنواع من البلاء كالأمراض التي تصيب الأبدان، وفقدان الأحبة، وخسران المال، وما يصاحب ذلك من آلام نفسية ومتاعب جسدية. ولا ينفع مع ذلك إلا الصبر. على أن المؤمن الصابر يلقى جزاء صبره عند الله أجرا عظيما، ونعيما مقيما ، وليس ذلك إلا للمؤمن.

"ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون" (البقرة: 155).

الصبر عن الشهوات : جبلت النفس على حب الشهوات والملذات، يسوقها إليها الهوى ويزينها الشيطان، **"زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب"** (آل عمران: 14). والصبر عن ذلك يحتاج إلى إيمان راسخ وإرادة قوية، ولعله أشد أنواع الصبر، ولذا قيل : الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء، قال الإمام الغزالي: "وإنما كان الصبر على السراء أشد، لأنه مقرون بالقدرة، ومن العصمة ألا تقدر... والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة، وقدر عليها، فلهذا عظمت فتنة السراء".

"والرجل كل الرجل من يصبر على العافية. ومعنى الصبر عليها : ألا يركن إليها، ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده، وعسى أن يسترجع على القرب، وألا يرسل نفسه في الفرح بها، ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب، وأن يرعى حقوق الله في ماله بالإنفاق، وفي بدنه ببذلك المعونة، وفي لسانه بالصدق، وكذلك سائر ما أنعم الله به عليه" (الغزالي، أبو حامد، د.ت، ج4، ص69-70).

ومن ذلك أيضا الصبر عما في أيدي الناس وعدم التطلع إلى ما آتاهم الله من نعم، **"ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى"** (طه: 131). فالمؤمن قانع بما آتاه الله، شاكر لله على نعمه، راض بما قسمه الله له، ويقينه أن قسمة الأرزاق كقسمة الأعمار، جعلها الله لحكمة هو يعلمها.

الصبر على الطاعة : كما حرم الله على الإنسان ما يفسده، أمره بفعل ما يصلحه ويسعده، وهذه الأوامر منها ما يشق على النفس فعله لأنه يخالف هواها وشهواتها، ولذا جعل الله عدة المؤمن للقيام بذلك الصبر، **"رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا"** مريم: 65. " وقال أيضا: **"وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى"** (طه: 132).

يقول الإمام الغزالي: "والصبر على الطاعة شديد، لأن النفس بطبعها تنفر من العبودية، وتشتهي الربوبية، ولذلك قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهر فرعون من قوله: "أنا ربكم الأعلى" ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه. وما من أحد إلا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه، وكل من هو تحت قهره وطاعته، وإن كان ممتنعا من إظهاره فإن استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته، واستبعاده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر، ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء. فإن العبودية شاقة على النفس مطلقا، ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة، ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد. فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد.

ويحتاج المطيع إلى الصبر على الطاعة في ثلاثة أحوال:

الأولى: قبل الطاعة، وذلك في تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء، ودواعي الآفات، وعقد العزم على الإخلاص

والوفاء. وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس.

الحالة الثانية: حالة العمل، كيلا يغفل عن الله في أثناء عمله، ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه، ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ، وهذا أيضا من شدائد الصبر، ولعله المراد بقوله تعالى **"نعم أجر العاملين الذين صبروا"** (العنكبوت 58-59)، أي صبروا إلى تمام العمل.

الحالة الثالثة: بعد الفراغ من العمل، إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء، والصبر عن النظر إليه بعين العجب، وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره، كما قال تعالى: "ولا تبطلوا أعمالكم" (محمد: 33)، وقال **"لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى"** (البقرة: 264). فمن لا يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله" (الغزالي، أبو حامد، د.ت، ج4، ص71).

الصبر على (التواصي بالحق) : دعوة الناس إلى الخير هي رسالة الرسل، وأتباعهم إلى أن تقوم الساعة، **"قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"** (يوسف: 108). وهو أمر شاق، كما سبقت الحديث عند التواصي الحق، لأنه يصطدم بأهواء الناس وشهواتهم، من أجل ذلك وصى لقمان ابنه بالصبر بعد أن وجهه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: **"يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور"** (لقمان: 17).

"كأنه يقول له ما دمت تدعو الناس إلى الخير، وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، فوطن نفسك على احتمال المكاره منهم، وتقبل الأذى من جهتهم فهم خصوم لمن يأمرهم بالمعروف لأنه ثقيل عليهم، وينهاهم عن المنكر، لأنه محبب إليهم" (القرضاوي/ج، 1991، ص49).

ولقد عانى الرسل الكرام عليهم السلام من أقوامهم عنتا شديدا وإعراضا عن قبول الحق، ومن أمثلة ذلك قوم نوح عليه السلام، فقد فعلوا كل ما في وسعهم معرضين عن دعوة نوح إياهم إلى الله، فقال عليه السلام: **" رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا"** (نوح: 5-7). وفعل مثلهم كل من جاء بعدهم من الأمم، ولم تكن أمة العرب بأحسن حالا من أولئك فقد حكى الله عنهم قولهم: **"حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت أياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون"** (فصلت: 1-5). ولهذا نصح الله نبيه بالصبر كما هو حال من قبله من الأنبياء **" فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل"** (الأحقاف: 35).

ولا شك أن الدعاة من أتباع الرسل هم بحاجة إلى صبر كبير، إذ الناس هم الناس، والشهوات هي الشهوات، والطبيعة البشرية لا تتغير، وكلما بعدت المدة عن أزمان الخير ازداد الطغيان والفساد.

فقال: **"لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور"** (آل عمران: 186). ، وحكى عن أتباع الرسل قولهم : **" ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون"** (إبراهيم : 12). وقد لا يقتصر الأمر على الإعراض عن الداعي، بل

غالبا ما يتعدى إلى إيقاع الأذى به. وحسبك بالرسل الكرام عليهم السلام وما لاقوه من أقوامهم من صنوف الأذى والاضطهاد، سواء كان أذى نفسيا أم جسديا، وذكر القرآن الكريم من ذلك، الرمي بأسوأ الصفات والأخلاق، والرجم بالحجارة، والتآمر بالقتل، والإخراج من الديار والأموال وما إلى ذلك، وفي كل ذلك يوصيهم الله بالصبر، ويحبذ لهم عاقبته. **"واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا"** (المزمل: 10).

"فاصبر إن وعد الله حق"، **"فاصبر وما صبرك إلا بالله"**، وحث أتباع الرسل كذلك على الصبر، فقال: **"لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور"** (آل عمران: 186)، وحكى عن أتباع الرسل قولهم : **" ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون"** (إبراهيم : 12). كل ذلك يظهر قيمة الصبر وأهميته في استقامة الحياة على الخير، سواء كان للفرد نفسه في صبره على الطاعة وتركه للشهوات، أو في تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان يحتاج أيضا إلى صبر ، وهكذا لا تستقيم الحياة بدون الصبر.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث يمكن أن نلخص أهم النتائج والتوصيات كما يلي:

- تعمل الفلسفة التربوية في الإسلام على محورين: بناء الإنسان الصالح المصلح، ثم بناء المجتمع القوي الصالح.
- يعنى الإسلام بتربية الفرد إيمانيا، تربية تجعل من العمل الصالح معيارا لصدق هذا الإيمان، ومناطا للمسئولية ، وهوالعامل الحاسم في الفوز بالدنيا والآخرة. ولذا يتوجب على الأمة المسلمة، إذا أرادت الشهود الحضاري (لتكونوا شهداء على الناس)، أن تكتفي من التنظير وأن تأخذ قضية العمل –بجميع أشكاله ما دام عملا صالحا يرضي الله– مأخذ الجد، بحيث تربي أبناءها على الاعتقاد بارتباط الإيمان بالعمل ارتباطا يجعل انتفاء أحدهما انتفاء للآخر، بذلك تستفيد الأمة من جميع طاقاتها، عندما يكون الإيمان بالله والإخلاص لله هو الذي يوجه هذه الطاقات.
- العلاقة الروحية بين الله والإنسان هي التي تولد العلاقات الاجتماعية، وبقدر قوة هذه العلاقة بقدر ما يقل الفراغ الاجتماعي، ويتحول المجتمع إلى بنيان متراص يشد بعضه بعضا. والأساس الذي تبنى عليه هذه العلاقة هو منظومة الإيمان بالله وبما يجب الإيمان به، وهذه المنظومة أصابها كثير من الضعف والهزال في عصرنا الحاضر، ولعل من أسباب ذلك المناهج الدراسية التي يقع على عاتقها بناء هذه المنظومة. ذلك أن مناهجنا ما زالت تعرض العقيدة الإسلامية بطريقة المتكلمين، وهذه الطريقة وإن كانت تبني قاعدة من المعرفة لكنها تفقد العقيدة روحها ويغيب عنها الهدف الذي جاء القرآن من أجله، وهو هداية الناس وتوثيق صلتهم بالله. وعليه ينبغي مراجعة المناهج الدراسية والعودة بها إلى طريقة القرآن في الدعوة إلى الإيمان وترسيخ العقيدة في النفوس.
- تعمل التربية الإسلام على تقوية الروح الجماعية ومحاربة العزلة والفردية، إذ الأولى تسعى إلى الرقي بالنوع الإنساني، أما الثانية تدور حول الأنا والأثرة والشهوات الشخصية وفي ذلك تدمير للمجتمع وللإنسانية ذاتها.

وهذا ما تسعى إليه العولمة في ظل النظام الرأسمالي الجديد. لذا كان لزاما على الأنظمة التربوية في البلدان الإسلامية التأكيد على الهوية الإسلامية وترسيخ القيم والأخلاق الإسلامية في الناشئة، والاهتمام بالثقافة الإسلامية كمقرر دراسي في التعليم الجامعي وما قبل الجامعي.

- تلح التربية الإسلامية على ضروة التعاون على نشر الخير ودفع الشر عن الجماعة. ورد ذلك بصيغ عدة مثل (تواصوا)، و أيضا (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)، وأحاديث نبوية تؤكد هذا المبدأ. على أننا نجد أن هذا المنهج القويم كاد يختفي من البيئة الإسلامية، وهذا من أشد ما ابتليت به هذه الأمة، لأن به صلاحها ورشادها وفيه خيريتها وتميزها عن الأمم، وتخلي الأمة عن أهم مبادئها يعني سقوطها وخروجها من قائمة الأمم المؤثرة في الحياة. وحتى تعود للأمة خيريتها لا بد أن تعود إليها روح الجماعة، وثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من خلال التربية الأسرية ، ومن خلال المناهج الدراسية ، ومن خلال تفعيل دور المسجد في المجتمع.

- الزمن قيمة حضارية، وعامل مهم في بناء الأفراد والمجتمعات إذ هو عمر الإنسان وميدان العمل، فالنجاح والفشل مرهونان بالقدرة على الإفادة منه واستغلاله الاستغلال الأمثل. ومن هذا المنطلق نرى التأكيد على غرس ثقافة تقدير الزمن في الناشئة والحرص على الإفادة منه قدر الإمكان.

المراجع العربية

أسد، محمد، (1987). **الإسلام على مفترق الطرق**، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت.

الأصفهاني، الراغب (1992). **المفردات**، ت: صفوان داؤدي، دار القلم، دمشق.

الألوسي، محمود (1985). **روح المعاني**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

إمام عبدالفتاح إمام (1997). **الطاغية**، مكتبة مدبولي، القاهرة.

أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني (1996). **الكليات**، ت: عدنان درويش ، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابو حيان (1993). **البحر المحيط**، ت: عادل عبدالمقصود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.

الدوري، قحطان عبد الرحمن (2002). **مفهوم الإيمان عند الفرق الإسلامية**، بحث منشور ضمن الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عمان قديما وحديثا، تحرير ابراهيم بحاز، حسن الملح، منشورات جامعة آل البيت، الأردن.

الرازي، فخر الدين محمود بن عمر (1990). **التفسير الكبير**، دار الكتب العلمية، بيروت.

رضا، رشيد (د.ت). **تفسير المنار**، دار المعرفة، بيروت.

الزركشي، بدر الدين محمد عبدالله (1990). **البرهان في علوم القرآن**، ج1، تحقيق: د.يوسف المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت.

السالمي، عبدالله بن حميد (د.ت.). **شرح الجامع الصحيح**، ج1، مكتبة الاستقامة، مسقط.

سعيد، جودت (1993). **العمل قدرة وإرادة، دار الفكر المعاصر**، بيروت.

السفاريني، محمد بن أحمد الحنبلي (1411/1991). **لوامع الأنوار البهية**، وسواطع الأسرار الأثرية،ج1، المكتب الإسلامي ، بيروت.

سميث، هوستن (2005). **لماذا التدين ضرورة حتمية**، تعريب سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب.

الطبري، محمد بن جرير (1992). **جامع البيان**، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** (2000). مؤسسة التاريخ، بيروت.

عبده، محمد (1988). **تفسير سورة العصر، ضمن كتاب تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن**، رشيد رضا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.

العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري** (د.ت). ج1، رقمه محمد فواد عبد الباقي، علق عليه محب الدين الخطيب، دار الريان بالقاهرة.

ابن عطية (1981). **المحرر الوجيز**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب.

أبوغدة، عبد الفتاح، **قيمة الزمن عند العلماء** (2002). مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

الغزالي، محمد (1987). **عقيدة المسلم**، دمشق: دار القلم.

الغزالي، أبو حامد (د.ت). **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (1991) **القاموس المحيط**، ج1، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.

القاسمي، محمد جمال الدين (1978). **محاسن التأويل**، خرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

القرضاوي، يوسف/أ (2007). **الإيمان والحياة**، مكتبة وهبة، القاهرة.

القرضاوي، يوسف/ب (1995). **الإسلام حضارة الغد**، مكتبة وهبة، القاهرة.

القرضاوي، يوسف/ج (1991). **الصبر في القرآن الكريم**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1411ه/1991م.

القرطبي (1985). **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

قطب، سيد/أ (1983). **الإسلام ومشكلات الحضارة**، دار الشروق، القاهرة.

قطب، سيد/ب (2006). **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة.

كارينجي (2006). **كيف تتخلص من القلق وتبدأ حياتك**، ، مكتبة جرير، الرياض.

ابن كثير (1990). **تفسير القرآن العظيم**، دار الجيل، بيروت.

الكيلاني، ماجد عرسان (2000). **مقومات الأمة المسلمة**، مؤسسة الريان، بيروت,

ابن منظور (د.ت). لسان العرب، ج1، القاهرة: دار المعارف.

ناصر، محمد صالح (2005). **تأملات في القران الكريم**، الجزائر: مكتبة الريام.

ابن نبي، مالك (1986). **ميلاد مجتمع**، دمشـــق: دار الفكر.

النووي (د.ت). **شرح صحيح مسلم** ،ج1، مؤسسة بيروت: مناهل العرفان.